

مشروع مارشال العربي:  
شراكة وتعاون من أجل مستقبل أفضل للشرق الأوسط  
المؤتمر السنوي لبيت المستقبل  
بالتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور  
سرايا بكفيا  
السبت، 30 أيار، 2015

الجلسة الثالثة: نحو شراكة عالمية من أجل الشرق الأوسط: مناقشة جيواستراتيجية مقارنة

نجيب ساويرس

سوف أبدأ من النقطة التي تم التطرق إليها الآن وهي أن خطة مارشال طبقت في أوروبا بعد انتهاء الحرب. أما في المنطقة اليوم فالوضع مختلف تماماً. الحرب هنا ستطول والوضع لن يتم حله في القريب العاجل. الحروب تتفاقم، فقد بدأت في العراق ثم انتقلت إلى سوريا وليبيا ثم اليمن. من الواضح إذاً ان المنطقة تتجه نحو نقطة اللاعودة ولذلك لا ينفذ أن ننتظر انتهاء الحرب لنطبق مشاريع كهذه، وذلك لأسباب عدة سوف أحاول تلخيصها في مداخلتي. السبب الأول هو أن القوى العظمى قررت اتباع أسلوب جديد ألا وهو الإدارة من وراء أو ألقا إدارة على الإطلاق. فالموقف الأميركي "مايع" والرئيس الأميركي "مايع" وبالتالي لا يمكن أن ننتظر منه خيراً في المرحلة المقبلة. إذا نظرنا إلى الأوروبيين، والأحظ كمسيحي أن الأوروبيين اتخذوا موقف المتفرج أمام قتل المسيحيين في العراق وسوريا وذبح المصريين منهم في ليبيا، وكانت ردة الفعل الوحيدة التي رأيناها من مصر نتيجة وجود رئيس جديد يريد أن يقول إن المصريين متساوين وإنه سيحمي المصريين المسيحيين كما المصريين المسلمين.

كانت تلك ردة الفعل الوحيدة التي شهدناها على هذه الهجمات التي اعتبرها شخصياً هجمات ضد البشرية والإنسانية. إذاً ما من موقف أميركي ولا أوروبي، علماً أن المشكلة في الشرق الأوسط لم تعد محدودة بالمنطقة، ويكفي أن نرى قوارب الموت التي تنطلق من مصر وليبيا وعلى متنها أشخاص يموتون قبالة السواحل الأوروبية، لنذكر أن المشكلة ستنتقل إلى هذه البلدان! لا بد بالتالي أن ينتهي دور المتفرج، وإذا لم تكن إبادة الأقليات من المسيحيين والأيزيديين تستفزهم، لا بد أن يستفزهم الدمار الذي يحصل، هذا التدمير للأثار وللتاريخ على يد أناس أقل ما يقال عنهم هو أنهم ليسوا من البشر. تخيلوا لو كانوا في مصر، لكانوا ربما دمروا الأهرام وأبو الهول!

السبب الآخر لعدم الانتظار هو أن المنطقة تغيرت وقد تبدلت الكيانات التي نشأت بعد إتفاقية سايكس بيكو وبالتالي نحن لا نعرف كيف سيكون شكل المنطقة العربية غداً هذه الحروب ولن نتمكن من تحديد البلدان التي قد تستفيد من برنامج مثل خطة مارشال. السبب الأخير هو أن العرض الذي تقدمه الدولة الإسلامية لأي شاب اليوم ليس لديه عمل أو مسكن أو زوجة لا يُقاوم: ألفا دولار مع مسكن وعلاقات جنسية مفتوحة إلى الأبد سواء كان ذلك مع السبايا أو عبر جهاد النكاح، عدا عن الوعود الأبدية مثل أنهار الخمر والجواري... لذلك لا يمكن على الإطلاق انتظار نهاية الحروب ولا يمكن السكوت عنها لأنها تسير من سيء إلى أسوء. فهناك معلومات أكيدة عن انضمام 3500 مجاهد مصري إلى صفوف الدولة الإسلامية،

والعدد نفسه من تونس علماً أن عدد سكان تونس هو بنسبة 1/10 من عدد سكان مصر، هذا من دون التجنيد الذي يحصل في أوروبا، والفتيات اللواتي يأتين من لندن. لو قلنا لأحد هذه الوقائع منذ 20 عاماً لا اعتبر أننا أصبنا بالجنون!

مهما كانت الخطة، أكانت خطة مارشال أو مبادرة دولية، لا بد أن تُنفذ. أما الخطة التي أقترحها فهي أبسط، وأكثر واقعية، كما وأنها ليست بحاجة إلى الأمم المتحدة. إنها بحاجة إلى غطاء من القطاع الخاص الذي يعرف أنه كلما ارتفعت المخاطر ارتفعت بدورها المكاسب. أنا شخصياً بنيت مسيرتي المهنية بالذهاب إلى المناطق الخطرة مثل الجزائر والعراق واليمن، وعملنا في هذه المناطق وكان العائد مرتفعاً جداً. المطلوب إذا اعتماد هذه الخطة في المناطق الآمنة الموجودة في كل هذه الدول المنكوبة. وتكون هذه المناطق الآمنة عادة مناطق قبلية لا حرب فيها وفيها قبائل قادرة على احتواء المواقف، وتبدأ المشاريع الإستثمارية في هذه المناطق مثل الصحراء الغربية في مصر مثلاً، أو المناطق اليمينية البعيدة عن نقاط تواجد الحوثيين. والمثال على نجاح هذا الأسلوب هو كردستان حيث عزل الأكراد منطقتهم وسيطروا على نقاط العبور منها وإليها لدواعي المراقبة، واكتسبوا 90% من الاستثمارات الموجهة إلى العراق.

علينا إذاً تحديد المناطق الآمنة في سوريا وليبيا واليمن والعراق لإقامة مشاريع لخلق فرص العمل. لن نستطيع تأمين الشق الجنسي الذي تؤمنه المجموعات الإرهابية ولكن بإمكاننا أقله تأمين ألفي دولار ومسكن وأمل للشباب، لأن الأمل إذا فقد فسيكون الشباب فريسة سهلة لداعش وأمثالها. ولكن كيف سيغامر المستثمر في هذه المناطق؟ من خلال مؤسسات دولية وإقليمية تعطي ضمانات ضد المخاطر السياسية. فكلما نجح الاقتصاد إنخفض العنف. هذا الاقتراح واقعي وسهل. إذا فشلت هذه المشاريع الإستثمارية لأسباب تجارية، يتحمل المستثمر أعباء الخسارة، أما إذا فشلت بسبب ضربات جوية على المصانع المعنية على سبيل المثال، يكون من حق المستثمر الحصول على تعويض. وربما بعد تطبيق هذه الخطة يصبح بإمكاننا التحدث عن خطة مارشال عندما تبدأ هذه البؤر بتوليد الإستقرار وتكون المسائل العسكرية قد حُملت. خطة مارشال برأي الشخصي عليها أن تُطبق شرط اعتماد أسلوب إقتصاد السوق الاجتماعي وتطبيق النظام الألماني وهو يشكل اليوم الثقل الإقتصادي الأساسي في أوروبا. على دول المنطقة إذاً أن تُطبق هذا النظام وتبدأ من حيث انتهى الآخرون في حال اردنا تطبيق خطة مارشال.

وأخيراً بالإجابة على سؤال عمّا إذا كان من الممكن إبقاء لبنان بمنأى عن هذا الصراع، أقول إن لبنان دخل الصراع، لا بل هو في بؤرة هذا الصراع، ولكن يبقى أملنا أن يتمكن هذا البلد الذي أعشقه والذي فيه الكثير من الأدمغة وفيه نظام إقتصادي يمكن أن يمثل نافذة لتطبيق هذه المشاريع، أمناً. هناك اليوم الكثير من رؤوس الأموال المعطلة في لبنان بسبب الوضع الراهن ولا مانع لدى اللبناني من السفر إلى أي دولة، وبالتالي لبنان قادر على لعب دور أساسي في إيجاد حل إقتصادي لما نمر به في المنطقة وشكراً.